مجلة العلوم إلانسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية إلاداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of Arts- alkhomes

19

العدد

التاسع عشر

سبتمبر 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))

صدق الله العظيم

(سورة الروم – آيه41)

هيئة التحريـــر

– د. علي سالم جمعة شخطور رئيساً

– د. أنور عمر أبوشينة عضواً

– د. أحمد مريحيل حريبش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/ كلية الاداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الإكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية.

كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الاتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الاداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د .أحمد)- أو (00218926308360 د. أنور)

البريد إلالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث إلاصيلة التي تتسم بوضوح المنهج ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية وإلانجليزية والدراسات إلاسلامية والشعر وإلادب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم إلاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

- ترحب المجلة بعروض الكتب على إلا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه

المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً– عنوان الكتاب– مكان وتاريخ النشر–عدد صفحات الكتاب–اسم الناشر– نبذة مختصرة عن مضمونه– تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

ـ يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

– يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلا أو جزءاً من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

ـ لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثا بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.ـ

– تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

-لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يقبل.

-تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

-تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كأن المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث إلاخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من

تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية إلاخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

–ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

– تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

–الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

– ترفق مع البحث السيرة علمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

– يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

–تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

–إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

– يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

–عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصرا قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والإستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

– يذكر الباحث على الصفحة الإولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الاكاديمية التي يعمل بها.

–أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:_

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في

كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة(A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على(Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي(MS Word).

- يجب إلا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
-يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

-يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الإنجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

-في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في

الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

-يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق:

-يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كأنت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فأن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الاتي:

أولا :الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد – أن تعددت المجلدات– والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م،ج3،ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الاتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البدليان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي– مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: إلهيات القرآنية والاحاديث النبوية:– تكتب إلهيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم إلاهية. وتثبت الاحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار نفس الاسم (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1- تاء الافتعال في آي القرآن.
د. حسين صالح محمد الدبوس.....16
2- تحقيق المناط وأثره في الخلاف الفقهي.
د. . جمال عمران سحيم.....63
3- الاعتراض على الحدِّ النحويِّ عند علماءِ العربيةِ (محمدُ بن أحمد اللُّورَقِي أنْمُوذَجًا).
د. مصطفى محمد العجيلي.....96
4- تحولات الفكر النقدي السيسيولوجي(من السوسيو أدبي إلى السوسيو بنيوي)
د. سليم بركان 132
5- قراءة في فلسفة الحب عند ابن حزم.
د- مريم خليفة المبروك.....158
6- إشكالية المصطلح في الفكر الإسلامي (مصطلح الحوار في استخدامات بعض المفسرين أنموذجا).
د. حسين علي الحبشي.....205
7-(علم الهندسة في الحضارة الإسلامية بين النظرية والتطبيق
د. محمد مصطفى المنتصر- أ. أحمد علي دعباج.....239
8- دور فزان في العلاقات التجارية والثقافية بين دول شمال إفريقيا والسودان الأوسط (دولة كانم أنموذجًا)

د. احمد حسين الشريف –د. خالد عمران مرشان.....268

9- توظيف القاعدة الفقهية (التأسيس أولى من التأكيد) في ترجيح الأحكام الشرعية، دراسة نحوية دلالية

د. محمد علي الزايدي.....311

10- التركيب التعليمي للسكان الليبيين من واقع التعدادات السكانية للفترة (1984 – 2006)

د. سميرة محمد العياطي.....344

11- مظاهر الكراهية وعلاقتها باللامعيارية كما يدركها أعضاء هيأة التدريس وطلبة الدراسات العليا بجامعة المرقب: دراسة امبيريقية.

د. عثمان علي أميمن- زهرة عثمان البرق- هيفا مصطفى قنيبر.....364

12- التوسع العمراني وأثره في تطور النقل.

د. نورية محمد الشريف- د.صالح أحمد الاحمر- أ:هناء أبوالقاسم أبوذينة.....451

13- التوسع الصناعي وأثره على الاقتصاد النصري في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م).

د. نعيمة عبد المولى سالم العيساوي – عبد المنعم المدني الكبير.....499

14-علاقة التراث العمراني بالتنمية السياحية المستدامة

د عادل أبوبكر الكاسح- د. علي غفير علي سعيد-د. خالد سالم معوال.....531

15- أسلوب السخرية في الشعر السياسي الليبي

د. ميلود مصطفى عاشور – د.إبراهيم محمد الزوام.....575
16- المنسوجات والأبسطة في العصر الصفوي" دراسة فنية نموذجية "
د: جمال أحمد الموبر.....622
17- الإنجاز الأكاديمي لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي
(دراسة ميدانية على أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب . الجامعة الأسمرية الإسلامية)
د. محمود أحمد الكبير – د. عبد المنعم محمد الغويل.....643
18- اختلاف الفقهاء في صحة العمل بالعول (دراسة فقهية مقارنة)
د. عادل فرحات حسين الشلبي.....696
19- مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ممن التحقوا ولم يلتحقوا برياض الأطفال(دراسة مقارنة بين التلاميذ الصف الأول الابتدائي بمنطقة قصر الأخيار)
د. أسامة عمر بن شعبان.....731
20- المروءة بالبذل والعطاء من الجود والكرم
د. سليمان حندي صالح سليمان.....779
21- (دور الفلسفة في البناء السياسي وتوطين الثقافة والقيم)
د. قمر مفتاح الرويمي.....826
22- حذف الياء وزيادتها في رسم المصحف الشريف " دراسة تحليلية "
د. رجب فرج أبو دقاقه.....858
23-"دلالة المقطع الصوتي في سورة الناس"
د. نجاة صالح اليسير.....897

24- المقالة الذاتية في أدب أحمد جمعة
د. فاطمة رجب محمد موسى.....914
25- معالم الرفق واللين في دعوة إبراهيم- عليه السلام- لأبيه
د. عبدالقادر عمر عبدالقادر الحويج.....946
26- مدى معرفة طلاب المرحلة الثانوية في منطقة الخمس لملامح خريطة ليبيا
د. صالحة علي فلاح- د. ابتسام عبد السلام كشيب.....982
27- النفط الليبي دراسة جغرافية
أنور عمر أبو شينة- أ. ليلي الأبيض 1002
28-علم الاجتماع وإشكالية التغير الاجتماعي
أ. نجوى الهادي الغويلى.....1023
29 DIFFCULTIES THAT FACE FIRST YEAR STUDENTS IN USING THE DEFINITE ARTICLE IN ENGLISH
SAMIRA MUFTAH EHMEAD- EKRAM JEBREEL 1065
30- Use of literature in EFL Classes: Benefits, Difficulties & Techniques
Zaneb ali abo algasm.....1096
31- How accurate is the post method in terms of teachers and learners
Ismail Alhadi Aldeb.....1125
32- An investigation of the Depth and the Breadth Knowledge of the English Academic Words among Libyan University Students
Suad Husen Mawal 1144

قراءة في فلسفة الحب عند ابن حزم

إعداد: د. مريم خليفة المبروك*

المقدمة :

الحب عاطفة إنسانية نبيلة يشترك فيها الناس بحكم الفطرة ، تعادل في مفهومها معنى الحياة ، وقد ذهب الكثير من الفلاسفة إلى اعتبارها فضيلة الفضائل ، لأنها تنطوي على قيمة أخلاقية عظيمة هي " الإرادة الخيرة " ولهذا كان الحب أكمل الخلال ، وأعلى صفات الكمال ، لأن في جوهره قرب واتصال وإثبات وإحياء وبناء ، حتى وإن كانت كلمة الحب تنطوي على دلالة عاطفية وجدانية ، إلا أنها في الأصل ميل إيجابي ونزوع عملي يتجلى في تحول الاهتمام من الأنا إلى الأنت ، وبالتالي الحب هو نية واتجاه وسلوك . فالحب يكسب الوجود البشري اتجاه ، وقصدا ، وغاية ، فيخلع عليه بذلك عمقا ومعنى ، وقيمة ، بل يوصف الحب بأنه أعمق تجربة ميتافيزيقية عرفها الإنسان ، وهذه التجربة جوهرية حية أساسية في وجود كل فرد منا .

وإذا كان الحب هو شغل الناس جميعا منذ بدء الخليقة لأنه الفضيلة الإيجابية والقيمة الإنسانية النبيلة ، بل هو الحياة واستمرارها ، وقد عبر عن تلك الحقيقة ذاتها الفلاسفة والمفكرون بل الأدباء والشعراء ، وابن حزم الفقيه والمؤرخ والأديب والفيلسوف من بين الكثيرين الذين حاولوا تحديد ملامح هذه العاطفة وتتبع مسارها وإظهار كيفية أعراضها

* عضو هئية تدريس بجامعة سرت / كلية الاداب/ قسم الفلسفة

واشتغالها من خلال ما طرحة في كتابه " طوق الحمامة " والذي يعده الكثير من المفكرين والفلاسفة مرجعية حقيقية في هذا الموضوع .

وعلى الرغم من أن ابن حزم ليس أول من كتب في الحب من أدباء وفلاسفة العرب ، فقد سبقه إلى ذلك " الجاحظ " في رسالته العشق والنساء . (وأبو بكر محمد بن داوود الاصفهاني) في كتابه الزهرة . (وإخوان الصفا) في بعض رسائلهم (رسالة ماهية العشق). وأبو الفرج عبد الرحمن الجوزى في كتابه (ذم الهوى) . وابن القيم الجوزية في كتابة روضة المحبين ونزهة المشتاقين . إلا أن ابن حزم قد فاق كل هؤلاء في دقة منهجه وتسلسل أفكاره ، وترابط بحثه ورقة حسه ، وأتباعه منهجا إستقرائيا فجاءت رسالته (طوق الحمامة) حافلة بالملاحظات النفسية الدقيقة ، والخبرات الحية المعاشة ، أو بتعبير أدق أن ما قدمه ابن حزم في طوق الحمامة يعتبر نظرية متكاملة عن الحب .

ومن هنا تأتي **أهمية الدراسة** أنها ترصد النظرة الفلسفية والواقعية للحب عند ابن حزم مع مقارنته ببعض السابقين وعليه واللاحقين له من الفلاسفة والمفكرين ، وذلك لتقييم إسهاماته الفكرية في هذا المجال . فقد استطاع ابن حزم أن يرسم صورة مميزة للحب والمرأة في ظل الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس .

والهدف من هذه الدراسة إبراز معالم نظرية الحب وأبعادها ، من خلال رسالته الموسومة طوق الحمامة ، وذلك بتحديد مفهوم الحب وأعراضه ، ومظاهره ، وإبراز صورته الخيرة ، المقابلة لصورته القبيحة المنفرة ، وبيان التغيرات الحاصلة في الحب والمحبوب ، ومدى مراعاتها للحدود المرسومة من الدين والأخلاق ، والأعراف ، والنظام الاجتماعي .

وتتضح **أهداف الدراسة وأهميتها** على ضوء حقيقة مهمة وواقعية ، وهي أن الدراسات في هذا المجال في ثقافتنا العربية لم تحظى بالعناية والاهتمام من قبل الباحثين ، ويبدو لي أن نقص الكتابة في هذا المجال تقليد قديم في الفكر العربي الإسلامي ، ومن هنا يكتسب البحث أهميته العلمية ، حيث يقوم جانبا من جوانب الفكر الفلسفي في تراثنا الإسلامي على ضوء العقيدة الإسلامية ، وفي إطار فكري معاصر .

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التحليلي المقارن الذي يقوم على تحليل كافة الآراء المتصلة بالموضوع ومقارنتها، مع الالتزام التام بالموضوعية باعتبارها شرط أساسي

أما عن الإشكالية التي تطرحها الدراسة هي : هل كان طرح موضوع الحب عن ابن حزم بمثابة كشف المستور عن كثير من الانحرافات الأخلاقية التي كانت تمارس باسم الحب في عصره ، أم أنه كان انعكاسا لتجربة ذاتية مر بها ابن حزم شخصيا أم كلاهما معا ؟ وهذه الإشكالية يتفرع منها تساؤلات عدة منها ما هو مفهوم الحب عند ابن حزم ؟ وما هي أهم أعراضه وأسبابه ؟ وما هي أهم أبعاده ؟ وغيره من التساؤلات التي يحاول البحث الإجابة عليها من خلال دراسة المسائل التالية :

أولا : مفهوم الحب في اللغة والاصطلاح

ثانياً : ماهية الحب عند ابن حزم .

ثالثاً: نشأة الحب (أطرافه . أعراضه . أنواعه . آفاته) .

رابعاً: الأبعاد الخلقية والجمالية والحسية والمعرفية لنظرية الحب عند ابن حزم .

أولاً – مفهوم الحب في اللغة والاصطلاح:

الحب لغةً نقيض البغض، وهو الوداد، والمحبة، والميل إلى الشيء السار، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية أو الروحية، وهو مترتب على تخيل كمال في الشيء السار أو النافع يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه، كمحبة العاشق لمعشوقه، والوالد لولده، والصديق لصديقه، والمواطن لوطنه. وقد يكون الحب ناشئاً عن عامل غريزي، أو عامل كسبي، أو عامل انفعالي مصحوب بالإرادة، أو عامل إرادي مصحوب بالتصور، وهو على كل حال لا يخلو من التخيل. وأظهر أشكاله الحب الحسي، وله درجات مختلفة، أولها الموافقة، ثم المؤانسة، ثم المودة، ثم الهوى، ثم الشغف، ثم التيم، ثم الوله، ثم العشق [1] وأيضاً الحب ميل في الشيء الملذ، فإن تأكد الميل وقوي يسمى عشقاً، والعشق مقرون بالشهوة، والحب مجرد عنها، لذلك هناك فرق بين الحب الشهواني، والحب العذري "الأفلاطوني"، فالحب الشهواني حب أناني غايته نفع المحب لذاته وإرضاء رغائبه ومآربه، وشهواته. أما الحب العذري كما تسميه العرب فهو حب محض مجرد من الشهوة والمنفعة، وله درجتان: درجة الرضا واللطف ودرجة الإحسان والرحمة.

ويطلق اصطلاح الحب الخالص على حب العبد لله تعالى لذاته لا لمنفعة، أو خوف، أو أمل، بل لمجرد ما يتصور في الحضرة الربانية من الجمال والكمال[2].

(1) راجع جميل صليبا: المعجم الفلسفي ، ج1(بيروت ، دار الكتاب العربي، 1982) ، ص 439 – 441.

(2) المصدر السابق، ج1، ص 441 ، 442. راجع عبد المنعم حنفي: المعجم الفلسفي، ط1 (مصر، الدار الشرقية ، 1990) ، ص 90.

أما الحب اصطلاحاً فقد تعددت معانيه ، فنجد أفلاطون يصف الحب بأنه انجذاب نحو الخير الكلي فيرى منه إلها عظيما تمتد قدرته إلى كل مكان ويطوى تحت جناحيه كل شيء[1]، وأيضا الحب هو الترفع عن شوائب الحب والمادة والسمو إلى نورانية الروح ، فالحب شوق يدفع إلى الحصول على المعرفة والخير والجمال[2]، ويرى أرسطو الحب : بأنه عشق وانجذاب للمحرك الأول[3] ، أما ابن سينا فيرى أن لكل واحد من الموجودات المدبرة شوقا طبيعيا وعشقا غريزيا وإن هذا العشق هو سبب وجود الموجودات كلها[4]، وعند أخوان الصفا فالحب أو العشق هو شدة الشوق للإتحاد بين النفوس[5]، وإمتزاج الروح بالروح . أما الغزالي فيرى الحب بأنه توتر باطني نحو كائنات خارجية ونحو اكتشاف الذات لذاتها فلا محبة ألا بعد معرفة وإدراك[6].

---

(1) نقلاً عن المهدي احمد جحيدر : القيم الأخلاقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي ، ط1 (طرابلس ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 2010م) ، ص 257.

(2) أحمد فؤاد الأهواني : الحب والكراهية (القاهرة ، دار المعارف ، د.ت) ، ص 1 – 11.

(3) نقلاً عن المهدي احمد جحيدر: القيم الأخلاقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص257.

(4) سهير أبو وافية : الفلسفة الإنسانية في الإسلام ، (القاهرة ، المكتب المصري للخدمات العلمية ، 1990م)، ص 243.

(5) راجع إخوان الصفا : رسالة في ماهية العشق ، ضمن رسائل إخوان الصفا ، تصحيح خير الدين الزركلي ، (المطبعة العربية بمصر ، 1928م) ، ج3 ، ص 272.

(6) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، (القاهرة ، مكتبة الشعب ، 1969م) ، ص 76.

ولقد تعددت الأساليب واللغات التي تناولت تجربة الحب مما أفضى إلى نوع من البلبلة الفكرية في فهم الدلالة الإنسانية لخبرة الحب، حتى صار التفاهم مستحيلاً أو شبه مستحيل بين الشاعر، وعالم الأخلاق، وعالم الاجتماع، والمتصوف في حين أنهم جميعاً يتحدثون عن شيء واحد بعينه هو ما درج على ما اتفقوا على تسميته باسم الحب. فمثلاً اللغة الشعرية تربط الحب بالجمال وتنتزع تجربة الحب من محيطها العادي، لكي تسمو بها إلى عالم لا واقعي تصبح فيه غانية الشاعر ملكاً سحرياً لا ككل النساء، وتصير فيه تجربته الخاصة خبرة فريدة لا مثيل لها في عالم الحب، والشاعر يغذي حبه بالآلام، فيحدثنا عن الفراق، والبين والحنين، والحزن، والزمان والماضي، والموت ... الخ. والسمة الخاصة التي تميز اللغة الشعرية هي سمة المبالغة أو الإسراف في التعبير.

أما اللغة الأخلاقية في الحديث عن الحب إنما هي لغة الحلال والحرام، والمباح وغير المباح، والغريزة والجسد، أو الفساد والانحلال... الخ.

أما اللغة الاجتماعية في الحديث عن الحب فهي لغة أولئك الذين لا يرون في الحب سوى سلوك اجتماعي يضطلع به كائن مدني لا يملك إلا أن يعيش في جماعة. وتبعاً لذلك فإن الناطقين باللغة الاجتماعية لا يجدون أدنى صعوبة في ربط الحب بالزواج، والنسب، والوراثة، والمحارم والعائلة، والأبناء وصلة الأرحام، واستمرار العلاقة بين السلف والخلف.

أما اللغة الصوفية في الحديث عن الحب، فأصحابها يرون أن تذوب الذوات الفردية وتندمج في حقيقة عليا تستوعب كل الموجودات في الذات الإلهية، فالحب عندهم أن تتنكر الذات الفردية وتتخلى عن ذاتيتها حتى تتحد بالكل التي هي جزء منه[1] .

ومهما يكن من تعدد لغات الحب، يبقى الحب بكل لغاته هو الدافع الأساسي للإنسان في التواصل والبقاء، ويبقى الحب هو البحث الأبدي الذي لا يتوان الإنسان عنه، فهو سبب وجوده.

ثانياً: ماهية الحب عند ابن حزم:

ناقش مفكرنا الحب في كتابه "طوق الحمامة" باعتباره حالة أو وضعاً إنسانياً له القدرة على تغيير الإنسان المحب لحظة الحب، وبعد التجربة، إذ لابد أن يخرج المحب بنوع جديد من الخبرة الخلقية. فقد بين ابن حزم، في حديثه عن الحب، التغيرات الحاصلة في المحب والمحبوب، ومدى مراعاتها للحدود المرسومة من الدين، والأخلاق، والنظام الاجتماعي، فإذا تعدى التغير هذه الحدود فإن للحب عندئذ آثاراً أخلاقية سلبية. أما إذا كان التغيير داخل هذا الإطار فمعنى ذلك أن الحب تجربة إيجابية. ورغم اهتمام ابن حزم بتحليل الجانب السلوكي في الحب، فقد كان حريصاً على إبراز أهمية العناصر الخلقية

(1) لمزيد من التفصيل راجع زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، ط2 (القاهرة، دار مصر للطباعة، د.ت)، ص 26 وما بعدها، راجع: يوسف ميخائيل أسعد: الحب والكراهية (مصر، مكتبة غريب ، د.ت) ، ص 57 وما بعدها.

فيه، فالسعادة مرتبطة بتمسك المحب بالقيم الخلقية. فكلما زاد هذا التمسك شدة، زادت القيمة الخلقية لهذه التجربة[1].

1- تعريف الحب عن ابن حزم:

بداية يستهل ابن حزم، في صدر كتابه، الحديث عن جلال الحب وقداسته، فيقول: "الحب أعزك الله – أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل"[2]. يشير هذا النص إلى ثلاث نقاط هامة، حاول ابن حزم توضيحها للكثيرين من معاصريه، الذين عابوا عليه – وهو الإمام الفقيه – التعرض لدراسة موضوع الحب، وهي: **الأولى** : أن ابن حزم كان متوجساً أن يقع في ظن البعض أن الحديث عن الحب هو حديث عن الفاحشة والشهوة والجنس، لذلك حرص على إبراز قدسية تلك العاطفة النبيلة، خصوصاً وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثيرون [3].

أما الثانية: هي جدية قضية الحب عند ابن حزم، وتأكيده على أن الحب خبرة وتجربة واقعية معاشة، وليست قولاً أو هزلاً، وكأن لسان حاله يقول لا تتخدعوا ولا

([1]) حامد الدباس: فلسفة الأخلاق والحب عند ابن حزم (لندن، دار الحكمة للنشر والتوزيع،1993)، ص166.

([2]) ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق: الطاهر مكي ، ط6 (القاهرة ، دار المعارف ، 2001) ، ص 19.

([3]) زكريا إبراهيم: مشكلة الحب ، مرجع سابق ، ص 292.

تستهينوا بالأمر فالقضية جادة؛ لغرابتها وجلالتها في الوقت نفسه. لأن معناها صعب أن يوصف أو يحدد، ولا يتسنى ذلك، إلا إذا عشناها وعانينا منها. فابن حزم يستند، في حديثه عن الحب، إلى تجربته الخاصة، ولعل هذه الخاصية هي ما يميز مؤلفه "طوق الحمامة" عن باقي المؤلفات التي كتبت في الحب.

والنقطة الثالثة والأخيرة هي تنزيه هذه العاطفة النبيلة وإزالة الغموض واللبس حولها، وإخراجها من دائرة الذم العرفي والإثم الشرعي. فالحب عنده ليس بمنكر في الديانة، ولا هو بمحظور في الشريعة.

بعد أن أوضح ابن حزم النقاط الثلاث الهامة المشار إليها آنفاً في الدفاع عن الحب وإجلاله وتقديسه، يعرف الحب بقوله: "اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع"[1]. ولا شك أن هذا التعريف يذكرنا بحديث أفلاطون المشهور عن الأيروس في محاورة المأدبة – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – خصوصاً وأن ابن حزم يستطرد بعد ذلك فيقول إن المحبة "استحسان روحاني وامتزاج نفساني" ولكن ابن حزم لا ينص على الأصل اليوناني لهذه الفكرة أو النظرية، بل يحاول ردها إلى الآية الكريمة التي تقول: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾[2]. فجعل علّة الكون أنها منه وسبب الحب هو اتصال النفوس في أصل عالمها العلوي وحجة ابن

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق ، ص 21.

(2) سورة الأعراف، آية 189.

حزم في ذلك أنه لو كانت علة الحب هي جمال المحبوب، أو حسن الصورة الجسدية لما كان المحرومون من الجمال أو ناقصو الصورة موضوعاً للحب، في حين أن التجربة شاهدة على أن كثيراً من المحبين قد يتعلقون بالأدنى، وهم يعلمون فضل غيره، دون أن يجد الواحد منهم محيداً لقلبه عنه. فلابد إذن من أن يكون الحب شيئاً في ذات النفس، وأن يكون سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال[1].

فالانقسام من الأصل هو السبب البعيد للتقرب، أما وقوع الحب، فناتج عن القرب أو البعد، بين الأفراد بعد حلول النفوس في الأجساد، أو الاتصال والانفصال، فحالة تذكر النفس لا يقويها ولا يضعفها، إلا القرب أو البعد، لذا يعتبر ابن حزم أن النفوس المقسومة في أصل الخليقة في شوق دائم إلى الاتصال بعضها ببعض. إذ أن النفوس في أصلها متصلة غير منفصلة وهي أجزاء من النفس الكلية. يتفق القول بالوجود السابق للنفوس وتشابهها وامتزاجها مع ما ورد عند أفلاطون في المأدبة ، حيث تحدث عن إنقسام النفس شطرين، وأن كل شطر قد التقى مع نظيره، فحدث بينهما الحب [2]. وأيضاً يتفق إلى حد كبير مع ما ذكره ابن داود في تحليله للحب – كما أشرنا أيضاً – حين تحدث عن فكرة

([1]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق ، ص 21.

([2]) راجع أفلاطون: المأدبة ، ترجمة : وليم الميري (القاهرة، دار المعارف ، 1965) ، ص 43 – 46.

الأكر المقسومة [1]. فالحب إذن عند ابن حزم هو اتصال بين أجزاء النفس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع.

2- المشاكلة في الحب:

تعد أساس نظرية الحب عند العرب، فهي علّة أولية أزلية يتسبب عنها الوقوع في الحب، وقد استمسك بها صاحب كتاب الزهرة (أبو داود) وجعلها أصلاً للوقوع في الحب واستند إليها في تفسير عدد من المواقف المتصلة بالحب في كتابه، وأرجعها إلى العامل الفلكي حيث تتحكم الأبراج في اتفاق الأرواح وتشاكلها، فلا يجد المرء بُداً من أن يحب صاحبه [2]. وإلى مثل هذا ذهب ابن حزم إلى أن الحب يقوم على التشاكل، إذ يقول: "إنك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة"[3] إلا أن ابن حزم لا يرجعها إلى العامل الفلكي كما ذهب ابن داود، بل أرجعها إلى السبب الميتافيزيقي. حيث اتصال النفوس التي تشابهت في أصل خلقها في الأزل. يقول ابن حزم: "قد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات ، إنما هو الاتصال، والانفصال، والشكل دأباً يستدعي شكله والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد. والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد والنزاع فيما تشابه موجود، فيما بيننا فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي، الخفيف،

([1]) راجع: أبو بكر بن داوود: الزهرة، تعليق: خالد محي الدين البرادعي (دمشق،منشورات وزارة الثقافة، 1992) ، ج1، ص 48.

([2]) راجع: أبو بكر بن داوود: الزهرة، ج1، ص

([3]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق ، ص 23.

وجوهرها الصعاد المعتدل، والميل والتوق والانحراف والشهرة، والنفار، كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان، فسكن إليها"[1]. الحب إذن استحسان روحاني، وامتزاج نفساني، فيه تتمازج النفوس، فإذا حلت هذه النفوس في الأجساد، بقيت كل واحدة منها تحمل صفاتاً من الأخرى، وهذا الارتياح الناجم عن الامتزاج، والتشابه في الصفات يدعوها إلى نوع من التذكر لما كانت عليه من سعادة وما هي فيه من آلام في هذا الجسد. فتشتاق إلى ذلك الحال. فالحب بهذا المعنى لا يقع إلا ولكل محبوب صفة في الآخر توافقه [2]. أي مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية لابد في هذا وإن قل، وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة. وقد استند ابن حزم في قوله هذا إلى ما جاء في الحديث النبوي : "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[3]. فالتعاون يكون عن مناسبة قديمة وتشارك سابق.

وقد تابع ابن القيم رأي ابن حزم في أن المحبة تقوم على المشاكلة إذ يقول: "إن التناسب بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة فكل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، وهذه المناسبة: نوعان: أصلية من أصل الخلقة، وعارضة بسبب المجاورة أو الاشتراك في أمر

([1]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق ، ص 21.

([2]) فهمي عودة: نظرية التراث "داعي المشاكلة في نظرية الحب عند العرب"، ط1، (عمان، دار الشروق، 1985م)، ص 139 وما بعدها.

([3]) مسلم بن الحجاج القشيري: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، حديث رقم 2638، باب الأرواح جنود مجندة، ج4، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ص 2031.

من الأمور .. فأما التناسب الطبيعي فهو اتفاق أخلاق وتشاكل الأرواح، وشوق كل نفس إلى مشاكلها، فإن شبيه الشيء ينجذب إليه بالطبع، فتكون الروحان متشاكلتين في أصل الخلقة، فتنجذب كل منهما إلى الأخرى بالطبع"[1].

فالحب إذن في هذا العالم لا يوجد إلا بين أصحاب النفوس المتحابة المتشاكلة، لكن الحب أو البغض قد يقع – في الواقع – من طرف واحد أحياناً، كما نرى أن يحب الإنسان من لا يحبه، فكيف نفسر ذلك؟ يجيب ابن حزم على ذلك بأن نفس الذي لا يحب من يحبه محجوبة بالطبائع الأرضية، فحلول النفس في الجسم قد أنساها أشياء كثيرة مما كانت تتحلى به، فالجسم أرضي جاهل، وهذا لابد أن ينعكس على النفس، فيكون كالحجاب، وقد يقع النسيان لواحد من المحبين دون الآخر، فيحب أحدهما الآخر بينما الآخر يكرهه، وقد يقع النسيان للاثنين فلا يوجد الحب بينهما، وقد تبقى النفس نقية عند المحبين فيقع الحب عنيفاً.

يقول ابن حزم "إن نفس الذي لا يحب من يحبه، مكتنفه الجهات ببعض الأعراض الساترة، والحُجُب المحيطة بها من الطبائع الأرضية، فلم تحس بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها، حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة، ونفس المحب مخلصة، عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له، قاصدة إليه، باحثة

(1) ابن القيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المتشاقين، ط2 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1986م)، ص84 – 85.

عنه مشتهية لملاقاته، جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد"[1]. وهنا نلاحظ تأثيراً أفلاطونياً واضحاً في إجابة ابن حزم.

يتبين لنا مما سبق أن الحب لا يقوم بين اثنين متنافرين أو متضادين، وإنما يقوم بين اثنين متحابين متشاكلين، لأن الشكل يستدعي دائماً شكله، وكلما كثرت عناصر المشاكلة زادت المجانسة بين المتحابين. والسؤال هنا هو كيف تتم المشاكلة أو معنى آخر كيف يقع الشبيه على الشبيه؟

يجيب ابن حزم على ذلك بأن هذا يتم بفعل القوى الحسية، وأهمها النظر، فهو المفتاح الذي يدل على المشاكل، فتتعلق النفس بما يشابهها، فالنظر هو نقطة بداية انطلاق شرارة الحب، ومع هذا يبين ابن حزم أن الحب من نظرة واحدة لا يكفي لأن يكون حباً قوياً راسخاً، لاعتقاده بأن النظرة الواحدة الواقعة على استحسان جسدي مدفوعة من النفس الشهوانية بتأثير الغريزة المسيطرة التي تسوغ لطلبها ذلك الجسم بادعاء حبه[2]. يقول ابن حزم: "إني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة، ولا أكاد أصدقه، ولا أجعل منه إلا ضرباً من الشهوة"[3]. لأن النظرة الواحدة دليل على قلة الصبر، ومخبر بسرعة السلو، وشاهد الطرافة والملل وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نمواً أسرعها فناء، وأبطؤها حدوثاً، أبطؤها نفاذاً لأنها تعني عدم وجود رابطة قوية وصفات مشتركة، بل

([1]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 23.

([2]) حامد الدباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق ، ص 170.

([3]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 44

هي مجرد قلق جسماني يعكس رغبة دفينة. والحب الحقيقي ما كان معتمداً على النظر المرة تلو المرة، أي يحتاج إلى زمن متطاول، ليستقر في النفس ويبلغ التعلق بقلبهما مداه. ويخبرنا ابن حزم عن نفسه وتجربته في الحب بقوله: "ما لصق بأحشائي قط إلا مع الزمن الطويل، وبعد ملازمة الشخص لي دهراً وأخذى معه في كل جد وهزل"[1].

ويكشف لنا ابن حزم هنا عن عقلية سيكولوجية ممتازة؛ لأنه يربط الحب بالزمان؛ ويقيم العاطفة على تعدد التجارب وارتباطها بموضوع واحد، فيبين لنا كيف أن للاستقرار النفسي دوراً هاماً في تأصيل عاطفة الحب ودوامها [2].

والظاهر أن خبرة ابن حزم الخاصة قد دلته على أن العشق السريع هو أقرب للشهوة منه إلى الحب، في حين أن العاطفة البطيئة التي تتكون على مر الأيام والسنين لابد من أن تدوم وتثبت بعكس الشهوة العابرة أو المغامرة العاطفية الخاطفة.

3- واحدية الحب : ينكر ابن حزم فكرة التعلق بشخصين في وقت واحد، مؤكداً على واحدية الحب. إذ التعددية في الحب حليفة الشهوة، في حين أن الواحدية قرينة المحبة، ولهذا يقرر ابن حزم أن كل من يزعم أنه يحب اثنين، ويعشق شخصين متغايرين في آن واحد فقد اختلطت عليه المحبة بالشهوة، والشهوة لا تسمى حباً على الحقيقة، بل على سبيل المجاز [3].

([1]) المصدر السابق ، ص 43 – 44.

([2]) زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، مرجع سابق، ص 297.

([3]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 45.

ومن الغريب أن يؤمن ابن حزم بواحدية الحب، في عصر كان العرف السائد يتيح فيه للرجل أن يحب ويقتني ما شاء من الجواري، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على وفاء ابن حزم وولائه لمن يحب، ولهذا بقى ابن حزم في تصوره لعاطفة الحب، "واحدياً" لأن حالة الحب الفردي العميق علاقة صحيحة صادقة تقوم على التبادل المطلق بين اثنين فقط، ولابن حزم في ذلك أبيات جميلة.

يقول فيها:

كـذب المـدعي هـوى اثنـين حتمـاً مثـل مـا فـي الأصـول كـذب مـاني

لـيس فـي القلـب موضـع لحبـين ولا أحـــدث الأمـــور بثـــاني

فكمـا العقـل واحـد لـيس يـدري خالقـاً غيـر واحـد رحمـان

فكـذا القلـب واحـد لـيس يهـوى غيـر فـرد مباعـد أو مـدان [1]

فالإيمان بواحدية الحب عنده ثابت لا يتزعزع سواء كان ذلك في الحب أو في المعتقد أو في الدين، من أجل هذا يستنكر ابن حزم التقلب والتملل في الحب، ويحمل بشدة على القائلين بإمكان الجمع بين حب اثنين أو أكثر في آن واحد.

ولقد تابع ابن القيم ابن حزم في القول بواحدية الحب وانفراد الحبيب بالمحبة، وجعل ذلك "من موجبات المحبة الصادقة وأحكامها..[لأن] قوى الحب متى انصرفت إلى

(1) المصدر السابق ، ص 46.

جهة لم يبق فيها متسع لغيرها، ومن أمثال الناس: ليس في القلب حبان، ولا في السماء ربان"[1]. وهو يرى أن المحبة لشخص واحد، تؤدي إلى تركيز الحب وتقويته، وتفرقه يؤدي إلى ضعفه، وهذا يؤدي إلى سلب الحب صفاته الأساسية وهي الصدق والقوة، لأن من "المستحيل أن يوجد في القلب محبوبان لذاتهما"[2]. فإن الحب يكون عندئذ مبادرة إلى لذة، وسعي وراء شهوة، لكن هذا المفهوم الواحدي للحب لدى ابن حزم، لا يعني مطلقاً بقاء الإنسان طوال حياته مرتبطاً بالمحبوب، ففكرة المجاورة والاتصال تستوعب إمكان وجود أكثر من مشاكل، لكن سيطرة أحد المشاكلين يغطي على غيره وإذا ما تعرض المحب إلى حالة الفقد خاصة، فإنه يبحث عن مشاكل ثانٍ أي عن حب ثانٍ. وقد عبر ابن حزم عن هذا المفهوم تعبيراً شخصياً، فهو قد أحب الجارية "نعم" التي ملكت عليه قلبه وتزوجها، وعندما توفت تألم جداً لفقدها، وبقى حتى زمن بعيد يتحدث عن نفسه متسماً "وعلى ذلك ما سلوت حتى الآن"[3]. ورغم ذلك الحب العنيف الذي جعله سبعة أشهر لا يتجرد من ثيابه. فقد بحث عن حب ثان على تلك الجارية التي أطبق وصف جمالها قرطبة [4]. وكل هذه الأحوال تعبر عن إمكان تكرار تجربة حب عنيف ثانٍ في حالة فقدان الحب الأول لظرف من الظروف.

([1]) ابن القيم: روضة المحبة ونزهة المشتاقين، مصدر سابق، ص 288

([2]) المصدر السابق، ، ص 292.

([3]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 124.

([4]) المصدر السابق ، نفس الصفحة. راجع: حامد دباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق، ص 175.

4- الحب بين الاختيار والاضطرار:

هناك مسلمة ميتافيزيقية في الحب، طالما تعرض لها العشاق العذريون،وهي "اعتقاد [هؤلاء] العشاق أنهم مسيرون في أفعالهم وتصرفاتهم بقدرة خارقة لا حول لهم ولا قوة في ردّها أو السيطرة عليها، وهم يصورون قوة العشق الخارقة على أنها قدر محتوم، أو طاقة سحرية تنفذ وتسلبهم إرادتهم فلا يستطيعون الإتيان بشيء في سبيل ردها، أي يعتبرون أنفسهم مسحورين مفتونين، فترفع عنهم اللوم في جميع أعمالهم، وترفع عنهم المسئولية في كل ما يفعلونه، باعتبارهم مجبورون لا مخيرون"[1].

ينظر ابن حزم إلى هذا الأمر على أنه شكل من الجبر والاضطرار يتحقق في الوقوع في الحب لا في استمراره، يعني أن الإنسان مفطور على الحب وعلى استحسان الجمال، ومن الطبيعي أن يتمكن الحب من قلبه. وقد عبر عن هذا المعنى في مواضع متفرقة من كتابه، فيقول: "وأما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه، إذ القلوب بيد مقلبها... والمحبة فخلقة"[2]. وفي ذلك أيضاً قوله: "اعلم أعزك الله أن للحب حكماً على النفوس ماضياً، وسلطاناً قاضياً، وأمراً لا يخالف، وحداً لا يعصى، وملكاً لا يتعدى، وطاعة لا تصرف ، ونفاذاً لا يرد..."[3]. فليس بإرادة المحب ولا باختياره

([1]) صادق جلال العظم: في الحب والحب العذري، ط3 (بيروت، دار العودة، 1981م)، ص 97-98.

([2]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 60.

([3]) المصدر السابق، ص 47.

أن يقع في الحب، بل هو أمر خارج عن إرادته، ولابد لمن يقع فيه، ولا حيلة له، أي أن التشاكل أمر خارج عن اختيار الإنسان وإرادته، ولكن مع تسليم ابن حزم بدعوى الاضطرار هذه، إلا أنه لا ينكر الجانب الاختياري في الحب حيث يحمل الإنسان مسئولية ما يقع فيه من الحب والعشق، فالمحب يملك ذاته، ويتحكم في حركات جوارحه المكتسبة، فلا يأتي الرذيلة ويتمسك بالفضيلة ما أمكنه ذلك – ودليل ذلك أن ابن حزم أفرد باباً للتعفف – فالأمر ليس قدراً وجبراً مطلقاً كما ظن العشاق العذريون أن أفعالهم خارجة عن استطاعتهم، فتصبح التجربة محكومة بقوة فوق إنسانية فلا يمكن والحالة هذه أن يصل الإنسان إلى خبرة محدودة [1]. وهذا يتفق مع نظرة ابن حزم للفعل الإنساني في نظرية الكسب، أنه فعلان أحدهما تابع لنظام الطبيعة المخلوقة من الله، ويسري على هذا الفعل قدر الله بالتسيير، وفعل خاص بالإنسان أي الكسب، فالإنسان له قدرة على إتيانه والامتناع عنه.

ثانياً: نشأة الحب (أطرافه – أعراضه – أنواعه – آفاته):

إن لتجربة الحب الإنساني أطرافاً يساهم كل طرف منها بنصيب في إيجاد هذه التجربة وهذه الأطراف هي:

أ: المحب : وهي نقطة الانطلاق الأساسية في هذه التجربة، ومشاعره إما أن تقابل بالرفض أو القبول.

(1) حامد الدباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق، ص 181 وما بعدها.

ب: المحبوب: هدف الفعالية، ويتميز عن المحب بأن في استطاعته حرية المشاركة في هذه التجربة، بعكس المحب فينقاد في الغالب، وإلى هذه التجربة غير مختار، فإذا كان المحبوب نقي الصفات موافقها، فإنه يسعى ليرتبط مع المحب، وإلا فإنه يرفض وينعكس ذلك سلباً على المحب وحده.

ج: رابطة الحب ذاتها: وهي الفعالية التي ترتكز في داخل المحبين، ويمكن دراستها أو قياسها من حيث الكيف، هل هي قوية أم ضعيفة؟ صادقة أم كاذبة؟ عفيفة أم غير عفيفة؟

د: الظروف المحيطة بالفعالية ، كالوسط الاجتماعي، وثقافة المجتمع السائدة، والمحيطين بكل من المحب والمحبوب، كناصحين والساعين من الإخوان والسفراء... أو العكس من ذلك كالوشاة والنمامين والعذال... وأهمية هؤلاء جميعاً نابعة من كونهم جزءًا لا يتجزأ من هذه التجربة، ذلك أن المحبين ليسوا منقطعين عن الآخرين. فالحب تجربة اجتماعية تقع ضمن مجتمع، ويؤثر عليها موقف هذا المجتمع ونظرته إليها [1]. ومن خلال هذه الأطراف يتحدث ابن حزم عن نشأة الحب وبدايته بالتفصيل، فيعقد فصلاً يسميه "باب التعريض بالقول" يتحدث فيه عن أساليب المحبين المختلفة في الإعراب عن حبهم، ثم

([1]) راجع: إحسان عباس: دراسة في الحب عند ابن حزم (تونس، مجلة شؤون عربية، مايو 1981م)، العدد 3، ص 134–162. راجع أيضاً: سالم يفوت: الأسس الميتافيزيقية لنظرية الحب لدى ابن حزم (المغرب، مجلة تكامل المعرفة، عدد مزدوج 7 – 8 – 1983م) ، ص 12 – 32. راجع: حورية خليفة ميلود: الحب بين ابن حزم وابن فارض، ص 103وما بعدها.

يتبعه بفصل آخر يسميه "باب الإشارة بالعين" يتحدث فيه عن لغة العيون وإشارات الألحاظ! فيقول: "واعلم أن العين تنوب عن الرسل، ويدرك بها المراد والحواس الأربع أبواباً إلى القلب ومنافذ إلى النفس، والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملاً. وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادي، ومرآتها المكلوة التي بها تقف على الحقائق، وتميز الصفات،وتفهم المحسوسات. وقد قيل ليس المخبر كالمعاين"[1]

ومع بداية نشأة الحب تتغير تصرفات وسلوك المحب عما كانت عليه قبل الحب، إذ يصبح سلوكه موجهاً نحو التكيف مع الشعور الجديد الحادث، إذ يساق المحب إلى هذا الشعور برغبة قوية يشعر بغرابتها أحياناً. وتبدأ مرحلة التغيير مع ظهور علامات الحب الأولى، حيث يسعى المحب إلى تطويع نفسه لتوافق مراد المحبوب، بتثبيت حالة "الانجذاب" واعتماداً على حالة "السرور" التي يشعر بها المحب تجاه الحالة القائمة، فإنه ينزع إلى تحقيق أكبر درجة من التوافق مع المحبوب، فالرذائل التي كانت قبل حالة الحب تتحول إلى فضائل، فالبخيل تنطلق يداه بالإنفاق، والجبان يصبح شجاعاً، المهمل الصورة يتجمل لتكون صورته مرغوبة غير منفردة، بل يحاول أن يغير من داخله وسلوكه الخارجي لتزداد رابطة الحب قوة.

ويتحدث ابن حزم واصفاً حالة المحب وما يطرأ عليها من تغيرات جذرية إيجابية، فيقول: "يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه، مما كان ممتنعاً به قبل ذلك، كأنه هو الموهوب له، والمسعى في حظه، كل ذلك ليبدي محاسنه ويرغب في نفسه، فكم من بخيل

([1]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 52.

جاد، وقطوب تطلق، وجبان تشجع، وغليظ الطبع تطرب، وجاهل تأدب، وفقير تجمل، وذي سن تفتى، وناسك تفتك ، ومصون تبذلا"[1]. وقد تابع ابن القيم هذا الرأي حين قال: "العشق يصفي العقل ويذهب الهم، ويبعث على حسن اللباس، وطيب المطعم، ومكارم الأخلاق، ويعلي الهمة، ويحمل على طيب الرائحة، وكرم العشرة، وحفظ الأدب والمروءة"[2].

ويستمر التغير الإيجابي ما دامت حالة الحب قائمة، حتى وإن لم يتوافق المحبوب مع المحب، فإن المحب يسعى لإرضائه بكل السبل، فيطيعه في كل أحواله. يقول ابن حزم: "من عجيب ما يقع في الحب، طاعة المحب لمحبوبه. وصرفه طباعه قسراً إلى طباع من يحبه، وربما يكون المرء شرس الخلق، صعب الشكيمة، جموح القيادة، ماضي العزم، حمي الأنف، فما هو إلا أن يتنسم بنسيم الحب، ويتورد غمره، ويعوم في بحره، فتعودا لشراسة ليناً، والصعوبة سهولة، والمضاء كلالة، والحمية استسلاماً.."[3]. وقد يقع في ظن البعض أن تذلل المحب لمحبوبه أو صبره على دلاله إنما هو دناءة في النفس، ولكن ابن حزم لا يرى في ذلك أي غضاضة، فليس التذلل للمحب ذلاً للنفس أو إهانة بقدر ما هو فضيلة"[4]. ذلك أن الموافقة حالة خاصة، ينجرف إليها المحب إنجرافاً لا يستطيع إنسان أن ينكرها. وقد تشتد حالة الحب بالمحب تطرفاً، فيغلب "الجهر على الحياء" فلا يملك المحب حينئذ لنفسه صرفاً ولا عدلاً... حتى يمثل الحسن في تمثال

([1]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 28.

([2]) ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مصدر سابق، ص 173.

([3]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 68.

([4]) المصدر السابق ، ص 69.

القبيح، والقبيح في هيئة الحسن، وبهذا يكون الحب قد سهل ما كان وعراً وهان ما كان عزيزاً. ولان ما كان شديداً [1]. إن المحب يسعى جاهداً للتغيير نحو الأفضل والأحسن، محاولاً التخلص من كافة عيوبه، لأنه يريد أن يعلو على ذاته، لكي يصل إلى حالة الكمال الذي ينشده، وما كان لهذه القيم الإيجابية أن تبرز عنده، دون تجربة الحب، التي دفعته إلى هذا الاتجاه.

أما الطرف الثاني في تجربة الحب وهو "المحبوب" فيأخذ أحد موقفين: الأول: الاستجابة للمحب وهذه قمة الحب إذا تكافأ المحبان في الحب. الثاني: موقف دون السابق، أي موقف أقل تعاطفاً بحيث لا يكون المحبون على نفس الدرجة من التعلق مقارنة بالمحب، وقد يصل الأمر إلى حالة الرفض الكامل. وهذا ينعكس سلباً على المحب وحده. أما إذا استجاب المحبوب للمحب على مضض، أي استجابة أقل تعاطفاً، فقد تنشأ تجربة حب ليست بقوية يعتريها الملل الذي يعبر عن نقص في الصفات المشتركة والتشاكل بينهما يقول ابن حزم: "الملل من الأخلاق المطبوعة في الإنسان وأخرى لمن دهى به، ألا يصفوا له صديق، ولا يصح له إخاء، ولا يثبت على عهد، ولا تطول مساعدته لمحب،.... لذلك أبعدنا هذه الصفة عن المحبين. وجعلناها في المحبوبين، فهم بالجملة أهل التجني، والتعرض للمقاطعة، وأما من تزيا باسم الحب وهو ملول، فليس منهم، وحقه ألا يتجرع مذاقه، وينفي عن أهل هذه الصفة، ولا يدخل في جملتهم"[2].

([1]) المصدر السابق، ص 64.

([2]) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 104.

أما العنصر الثالث في تجربة الحب فهو رابطة الحب ذاتها، وهي قوة تغيير المحبين، إنها على حد تعبير ابن حزم "داء عياء، وفيه الدواء، منه على قدر المعاملة ومقام مستلذُ وعلّة مشتهاة، لا يود سليمها البراء، ولا يتمنى عليلها الإفاقة، يزين للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبائع المركبة، والجبلة المخلوقة"[1]. فالحب له "حكمٌ على النفوس ماضٍ، وأمرُ لا يخالف، وحد لا يعصى، وملكُ لا يتعدى، وطاعةُ لا تُصرف، ونفاذُ لا يرد، وإنه يحل المبرم، ويحلل الجامد، ويحل الثابت،... "[2]. والمحبة عند ابن حزم أنواع أفضلها المتحابين في الله عز وجل،ومحبة القرابة، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، وأخيراً محبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس، فالمحبة كلها جنس واحد ورسمها أنها الرغبة في المحبوب وكراهة منافرته [3].

وأما عن آفات الحب فهي عديدة منها:

أ – **الهجر** : وهو من آفات الحب وهو أنواع: هجر يوجبه تحفظ من رقيب حاضر، وهجر يوجبه التذلل، وهجر يمتحن به المحب صبر محبوبه، وهجر يوجبه

([1]) المصدر السابق، ص 25 – 26.

([2]) المصدر السابق، ص 47.

([3]) المصدر السابق، ص 22، راجع ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص 165 – 167.

العتاب لذنب يقع من المحب، وهذا فيه بعض الشدة، لكن فرحة الرجعة وسرور الرضى يغفر أو يعدل ما مضى، وأما أقسى ضروب الهجر فهو هجر الذي يوجبه الوشاة، ثم هجر الملل، وأيضاً هجر القلى وهو الذي تنفذ فيه الحيل والمكايد من العذال والوشاة والرقباء. وأمتع ضروب الهجر "هجر التذلل" وهو ألذ من كثير من الوصال [1]. ولا شك أن هذا الهجر ينطوي على مفارقة بلاغية رائعة، فالهجر يعني الانقطاع وهو ضد الوصال، كما أن الهجر يؤلم المحب في حين أن الوصال يسره، ومع هذا فهجر التذلل ألذ بكثير من الوصال بالنسبة للمحبوب المهجور.

ب- الفراق: وهو من آفات الحب أيضاً، يقول ابن حزم: "إن سنة الحياة أنه لابد لكل مجتمع من افتراق، ولكل دان من ثناء، وقد قال أحد الحكماء: إن الفراق أخو الموت!"[2].

والفراق أنواع: فراق لمدة محدودة من الزمن، وهو بمثابة منع من اللقاء، أو حظر على المحبوب من أن يراه المحب، وفراق يتعمده المحب تجنباً لأقوال الوشاة، ثم فراق الموت، وهو الغوث أو الهول الأكبر، لأنه غياب لا يرجى منه إياب [3]. وقد اختلفت الآراء في أي الأمرين أشد: الفراق أم الهجر؟ يقول ابن حزم: "كلاهما مرتقى صعب، وموت أحمر، وبلية سوداء وسنة شهباء، وكل يستشبع من هذين ما ضاد طبعه، فأما ذو النفس الأبية، الألوف الحنانة، الثابتة على العهد، فلا شيء يعدل عنده مصيبة

(1) ابن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، مصدر سابق ، ص 98 وما بعدها.
(2) المصدر السابق، ص 117.
(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق ، ص 118 – 124.

البين، لأنه أتى قصداً، تعمدته النوائب عمداً... وأما ذو النفس التواقة الكثيرة النزوع والتطلع، القلوق العزوف، فالهجر دواؤه وجالب حتفه، والبين له مسلاة ومنساة، وأما أنا فالموت عندي أسهل من الفراق، وما الهجر إلا جالب للكمد، ويشوك إن دام أن يحدث أضراراً"[1].

ج – الضنى والسلو والموت: يحدثنا ابن حزم في "باب الضنى" عن الآفات والأمراض النفسية والجسمية التي قد تترتب على قمع الحب أو كتمانه، فيقول: "الأعراض الواقعة من المحبة غير العلل الواقعة من هجمات العلل، ويميزها الطبيب الحاذق والمتفرس الناقد"[2]. ويروي لنا ابن حزم في هذا الصدد بعض حالات الحب التي سمع عنها، مما أدى بصاحبه إلى الجنون والمرض العقلي [3].

ولما كان الحب في نظر ابن حزم ظاهرة بشرية تخضع لما تخضع له سائر الظواهر البشرية الأخرى، فليس غريباً أن نراه يتعرض بالحديث عن السلو والموت اعتقاداً منه بأن كل ما له أول فلابد له من آخر. والسلو ينقسم قسمان: سلو طبيعي وهو المسمى بالنسيان، يخلو به القلب، ويفرغ به البال، ويكون الإنسان كأنه لم يحب قط في حياته. وسلو تطبّعي قهر النفس، وهو المسمى بالتصبر، أي إظهار المحب التجلد والتصبر وفي قلبه أشد الألم والقهر على فراق محبوبه. أما أسباب السلو فهي ثلاثة أصلها من المحب

([1]) المصدر السابق، ص 125.

([2]) ابن حزم: طوق الحمامة ، مصدر سابق ، ص 137.

([3]) المصدر السابق، ص 138 – 140.

وهي الملل والاستبدال والحياء، وأربعة أصلها من المحبوب وهي الهجر والمفارقة والجفاء والغدر،وقد يكون السلو لأسباب خارجة عن إرادة المرء: إما لموت، أو لبعد لا يرجى بعده عودة، وإما لعلة مزمنة طرأت على المحب وهذه جميعها تدخل في باب اليأس [1]. ثم يحدثنا ابن حزم عن الموت، فيقول: "ربما تزايد الأمر ورق الطبع وعظم الإشفاق، فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا.."[2].

هذه هي باختصار أهم آفات الحب التي تهدد العشاق، فإذا نجح المحبون في القضاء عليها، وعلاج أسباب الكدر والاغتمام، تحققت لهم أسمى مرتبة من مراتب الحب وهي الوصل. يقول ابن حزم: "ولولا أن الدنيا دار ممر ومحنة وكدر، والجنة دار جزاء وأمان من المكاره، لقلنا إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه، والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه، وكمال الأماني ، ومنتهى الأراجي"[3].

ثالثاً: الأبعاد الرئيسية لنظرية الحب عند ابن حزم وهي:

1) البعد الجمالي: إن الشعور بالجمال من أقدم أنواع الوعي الإنساني، ومرد ذلك إلى أن في الإنسان قوة باطنية فطرية للإحساس بالجمال والنفور من القبح، والدارس لكتاب "طوق الحمامة" يلمح بوضوح في ثناياه ذلك الائتلاف والتوافق والتمازج بين الجانبين المتداخلين والمتكاملين في الآن ذاته: الحب والجمال "فطوق الحمامة كناية عن

(1) المصدر السابق، ص 141 – 145، راجع : زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، ص 306.
(2) المصدر السابق، ص 152.
(3) المصدر السابق، ص 90.

استلهام الجمال الذي هو مثار الحب... فهذا كتاب يتحدث عن العلاقة السرية بين الجمال والحب"[1]. ويرجع هذا إلى أن الصور الحسنة في نظر ابن حزم، ذات أهمية واضحة في الحب، لأن عالم النفس الأول، عالم منسجم جميل، لا كدر فيه، فارتبطت النفس بالانسجام والجمال، فأصبح في ذاتها، أما تعلق النفس بأخرى فراجع إلى كون هذه النفس جميلة مثلها أصلاً، وإن لم تكن جميلة "فقبحها" حادث لظروف الاتصال بالطبائع الأرضية من الجسم، وهذا لا يشكل عائقاً أمام استمرارية العلاقة بين النفسين، يقول ابن حزم: "أما العلة التي توقع الحب أبداً في أكثر الأمر على الصورة الحسنة، فالظاهر أن النفس حسنة تولع بكل شيء حسن، وتميل إلى التصاوير المتقنة"[2]. وهذا الاستحسان يعود إلى صفة نفسية بحتة وهي أن النفس خيرة وجميلة في ذاتها، لا ترتبط إلا بكل صور الكمال، والجمال أحد معابر الكمال لأن القبح نقص في الخلقة، فتنفر منه النفس "فالاستحسان طبيعي في النفس للصور"[3]. فميل النفوس إلى الصور الحسنة شيء متأصل في طبيعة النفوس ذاتها، لأن "الحسن هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر عنه غيره، ولكنه محسوس في النفوس، باتفاق كل من رآه، وهو برد مكسو على الوجه، وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه، وإن لم تكن هناك صفات جميلة، فكأنه شيء في نفس المرئي ، تجده نفس الرأي لأن كل من رآه، راقه، واستحسنه

(1) ابن حزم: رسالة طوق الحمامة، ضمن رسائل ابن حزم، ج1، ص 37.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 24.

(3) المصدر السابق، ص 167.

وقبله"[1]. فالصورة الحسنة أو الظاهرة ليست دائماً شرطاً للوقوع في الحب، فقد يقع الحب دون أن يتوفر في المحبوب دواعي الجمال الحسي، وقد يعمي المحب عن الصفات الذميمة في المحبوب.

ولكن مع هذا لم ينكر ابن حزم أن الجمال الحسي الظاهري يجذب النفوس ويأسرها، ويستولي على المشاعر، وأن المحب يفضل في المحبوب أشياء وصفات معينة، تختلف من شخص إلى آخر، وابن حزم يحدثنا عن هذا في فصل من كتابه (طوق الحمامة) عنوانه "باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها" ويقدم لنا فكرة (التثبيت) التي لم تعرف في التحليل النفسي إلا في العصر الحديث، وهي عبارة عن ارتباط المرء في صباه بشخص أو شيء ارتباطاً وثيقاً بحيث يدوم هذا الارتباط حتى بعد انتقاله إلى مرحلة النضج النفسي أو البلوغ العاطفي [2]. ومما يقوله ابن حزم في هذا الباب: "... وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى القصر، فما أحب طويلة بعد هذا. وأعرف أيضاً من هوى جارية في فمها فَوَّة لطيف، فلقد كان ينتقد كل فم صغير ويذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة... وعنيّ أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو (كانت) على صورة الحسن

(1) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداوات النفوس، مصدر سابق، ص 179.

(2) زكريا إبراهيم: مشكلة الحب ، مرجع سابق، ص 299.

نفسه. وأني لأجد هذا في أصل تركيبتي من ذلك الوقت، لا تؤاتيني نفسي على سواه، ولا تحب غيره البتة"[1].

ولهذا يلعب الجمال بشقيه الروحي والحسي عند ابن حزم دوراً بارزاً في ميلاد الحب وتقوية أواصره، كما أن له أثراً كبيراً في نشوء الإعجاب لدى المحب، فمنطلقات الرؤية الجمالية لديه هي انعكاس لرؤيته لأنواع وتدرجها، حيث أن "أولها الاستحسان وهو أن يتمثل الناظر صورة المنظور إليه حسنة، أو يستحسن أخلاقه... ثم الإعجاب وهو رغبة الناظر في المنظور إليه، ثم الألفة وهي الوحشة إليه متى غاب، ثم الكلف وهو غلبة شغل البال به، وهذا النوع يسمى في باب الغزل بالعشق، وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير، وربما أدى ذلك إلى التوسوس أو إلى الموت، وليس وراء هذه المنزلة في تناهي المحبة أصلاً"[2]. فالحب يبدأ باستحسان الصورة ثم يتدرج وينتقل إلى الاستحسان والامتزاج الروحاني. وبهذا يكون ابن حزم قد مزج بين رؤيته لدرجات المحبة مع نظرته للجمال، لذا يميز بين خمس درجات من الجمال هي:

1 – العذوبة والحلاوة: وتتمثل في رقة وخفة الإشارات ، وجمال وكلف الحركات.

2 – دقة وتجانس عناصر الأشكال (الوجه).

3 – السحر – أو الكمال – والبريق عند التعبير.

([1]) ابن حزم طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 47 – 48.

([2]) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مصدر سابق، ص 175 – 176.

4 – الحسن وهو شيء سام جداً لدرجة أنه لا يمكن وصفه إلا بلغة استعارية، لأن ليس له في اللغة شيء يعبر به عنه، لكنه محسوس في النفوس باتفاق ممن رآه، فهو برد مكسو على الوجه وإشراق تستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه [1].

إن التمييز آنف الذكر يوضح، وبكل تأكيد، العلاقة الوثيقة بين الجمال والحب، كما أن الجمال في نظر ابن حزم أمر واضح للجميع، ولكن التعبير عنه قد لا يملكه الكثيرون، لذلك أكد على أن الحب ليس نابعاً من الجمال الحسي فقط الذي يتمتع به صورة المحبوب، ولا قيمة للحب في بعدها الذوقي الجمالي الناتج عن تلك الجاذبية الحسية فقط، وإنما هو بما تشع به النفس من حيوية، وبما تضفيه من فاعلية وجدانية وإشراق معنوي على هذه المحبة، وهذا بعكس فكرة التدرج في الحب عند ابن حزم من تأمل الجمال الجسدي واكتشاف عناصره المشتركة في الكثير، ثم الارتقاء إلى جمال الروح والمتمثل في إشراق معنوي تنجذب إليه الروح لتآلفها معه، وهكذا يتم الانتقال في الحب من الحسي إلى المعنوي.

2) البعد الخلقي للحب: ينطوي الحب في صميمه، عند ابن حزم، على قيم أخلاقية كبرى تتفاوت تبعاً لمرتبة الحب ذاته، ومن أهم هذه القيم "الوفاء" إذ أنه حميد

([1]) المصدر السابق، ص 178 – 179، راجع: كروت ايرناندیت: تاريخ الفكر في العالم الإسلامي، ترجمة: عبد العال صالح، تعليق: عبد الحميد مدكور، ط1(القاهرة، المركز القومي للترجمة،2–13م) مج، ص110.

الغرائز وكريم الشيم، وإنه لمن أقوى الدلائل، وأوضح البراهين، على طيب الأصل، وشرف العنصر [1]. وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب، لا يحول عنه إلا خبيث المحتد، لا أخلاق له ولا خير عنده[2]. ثم يضيف قائلاً : "لولا أن رسالتنا هذه لم نقصد بها في أخلاق الإنسان وصفاته المطبوعة والتطبع بها لزدت في هذا المكان ما يجب أن يوضح في مثله، ولكنا إنما قصدنا التكلم فيما رغبته من أمر الحب"[3].

وهذا القول من ابن حزم يوضح الصلة الوثيقة بين الأخلاق والحب، لأن الحب كما سبق إن قلنا فضيلة الفضائل، وينطوي على الكثير من المبادئ والقيم الخلقية التي تحدد اتجاهاتنا وترسم سلوكنا.

من أجل هذا يؤكد ابن حزم أن الوفاء على المحب أوجب منه على المحبوب وشرط له ألزم. أما المرتبة الثانية: فهي منوطة بالمحب الذي سعى إلى المحبوب واختاره، فعليه أن يثبت ويتقبل لما يبدو منه، فإذا غدر المحبوب، فعلى المحب الوفاء لهذا المحبوب الغادر، لأنه المتكفل بالسعي والبادئ بالارتباط به. وهذا الوفاء من المحب دون المحبوب خطة لا يطبقها إلا جَلْدّ قوي، واسع الصدر، حرّ النفس، عظيم الحلم، جليل

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 109.

(2) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(3) المصدر السابق، ، نفس الصفحة.

الصبر، حصيف العقل، ماجد الخلق، سالم النية [1]. وغاية الوفاء في هذه الحال ترك مكافأة الأذى، بمثله، والكف سيء المعارضة بالقول أو الفعل. والثاني جز حبل الصحبة والمودة ما أمكن. طمعاً بالرجعة [2].

أما المرتبة الثالثة للوفاء، فحاله غريبة عجيبة لا يصل إليها الإنسان إلا بعد وقوع تغيرات طارئة من طرف المحب أو المحبوب "وهي الوفاء مع اليأس البات، وبعد حلول المنايا وفجاءات المنون، وأن الوفاء في هذه الحالة لأجلُ وأحسن منه في الحياة، ومع رجاء اللقاء"[3]. فالوفاء هنا يصبح موقفاً أخلاقياً مقصوداً لذاته. وأيضاً للوفاء شروط على المحبين لازمة، منها: أن يحفظ المحب عهد محبوبه، ويرعى غيبته، ويغطي على عيوبه، ويحسن أفعاله، ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة، ويرضى بما حمله ولا يكثر عليه بما ينفر منه [4]. ثم يتحدث ابن حزم عن وفائه للآخرين، فيقول: "لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت إلى بُلقْيه واحدة،ووهبني من المحافظة لمن يتذمم مني ولو بمحادثته ساعة خطأ، أنا له شاكر وحامد، ومنه مستمد ومستزيد، وما شيء أثقل عليّ من الغدر"[5].

([1]) المصدر السابق، ص 110.

([2]) المصدر السابق، نفس الصفحة.

([3]) المصدر السابق، ص 111.

([4]) ابن حزم، طوق الحمامة ، مصدر سابق، ص 112.

([5]) المصدر السابق، ص 113.

أما القيمة الخلقية الثانية التي يحض عليها ابن حزم وبشدة في الحب، فهي "العفة" فيقول: "ومن أفضل ما يأتيه المرء في حبه التعفف وترك ركوب المعصية والفاحشة، وألا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة، وألا يعصي مولاه المتفضل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لأمره ونهيه"[1]. ويأخذ ابن حزم كثيراً من أقوال ابن داوود في كتابه الزهرة فيورد قوله عن الرسول ﷺ "من عشق فعف فمات فهو شهيد". فالعفة في الحب هي قوة وانتصار على الشهوة والمعصية، وهي مجاهدة مستمرة للنفس والابتعاد ما أمكن عن دواعي الهوى، لأن الإنسان خلق ضعيفاً بطبعه. ويوضح ابن حزم ثواب وجزاء من أحب وعف، فيقول: "وإن من هام قلبه وشغل باله واشتد شوقه وعظم وحده ثم ظفر فرام هواه أن يغلب عقله وشهوته،وأن يقهر دينه، ثم أقام العدل لنفسه حصناً وعلم أن النفس لأمارة بالسوء وذكرها بعقاب الله تعالى،..: وحذرها من يوم المعاد، ونظر بعين ضميره إلى انفراد عن كل مدافع بحضرة علام الغيوب... وطوى كشحه على أحد من السيف وتجرع غصصاً أمرْ من الحنظل وصرف نفسه كرهاً عما طمعت فيه،وتيقنت ببلوغه، وتهيأت له ولم يحل دونها حائل، لحريّ أن يسرّ غدا يوم البعث ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود"[2].

وهكذا يلخص النص، كما هو ملاحظ رؤية ابن حزم لنوع العلاقة التي يجب أن تربط بين المحبين، فالعفة عنده واجبة ومفروضة وحدّها "أن تغض بصرك، وجميع

([1]) المصدر السابق، ص 184.

([2]) المصدر السابق، ص 184 – 185.

جوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك، فما عدا هذا فهو عهر، وما نقص حتى يمسك ما أحل الله تعالى فهو ضعف وعجز"[1].

ويرفض ابن حزم زعم من قال: إن الرجال وحدهم هم الذين يستطيعون قمع شهواتهم، مؤكداً على أن الرجال والنساء سواء في الجنوح. وهذه الفكرة صادرة عن تصوره للطبيعة الإنسانية وتكوينها من عناصر الخير والشر، حيث يقول: "وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال في ذلك، ولم يكن ثم مانع، إلا وقع في شرك الشيطان... وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته،حتماً مقضياً وحماً نافذاً لا محيد عنه البتة"[2]. فهذه النظرة للسلوك الإنساني ونزوع الذكر والأنثى، وتشوق الأنثى للذكر، لا تحول مطلقاً بينه وبين الإيمان بوجود العفة، ووجود الصلاح في الرجال والنساء على حد سواء، شأنه شأن الجنوح تماماً، وهذا أمر نسبي. فالرجال والنساء سواء في المقدرة على قمح الشهوات والتعفف – بعكس ما وقع في ظن الكثيرين.

وينتهي ابن حزم إلى تقرير رأيه في معنى الصلاح بين المرأة والرجل عندما يتعلق الأمر بالطبيعة الفطرية لديهما والتي تقضي بانجذابهما، وميل كل واحد إلى الآخر، خاصة إذا كان الطرفان متحابان ويهوى كل واحد منهما الآخر، فالمرأة الصالحة، عنده،

(1) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مصدر سابق، ص 128.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 163.

هي تلك التي إذا ضَبطت انضبطت، والرجل الصالح هو الذي لا يداخل أهل الفسوق، ولا يتعرض للمناظر الجالبة للأهواء، خلافاً للرجل غير الصالح [1].

المهم في التعفف هو ضبط الإرادة، وحسن توجيه الانتباه، وتجنب أسباب الخطر، والتحامي بالذات عن مواطن الغواية، إذا أريد ضبط النفس وامتلاك زمام الذات. فالحب الحقيقي، عند ابن حزم، علاقة روحية لا تنفصم عراها، ويجب السمو بها والمحافظة عليها وصيانتها بالعفاف والبعد عن المعصية والرذيلة، لأن المعصية تفسد العلاقة بين المتحابين في الدنيا، وتقطعها في الآخرة، ويستشهد ابن حزم بحملة بكم وافر من النصوص والحكايات والأشعار – لا يتسع المقام ذكرها – وكلها تشيد بالحب العفيف الطاهر، وتؤكد على أن المعصية تفسد الحب [2]. وقد التزم ابن حزم العفة ويقول عن عفته وطهارته: "... يعلم الله وكفى به عليماً، أني برئ الساحة، سليم الأديم، صحيح البشرة، وأني أقسم بالله أجل الأقسام أني ما حللت مئزري على فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا. والله المحمود على ذلك، والمشكور فيما مضى، والمستعصم فيما بقى"[3]. فابن حزم يرى أن هذه العفة التي صحت بها نفسه إنما هي نعمة من الله يجب الشكر عليها والحمد لله، والدوام عليها.

([1]) المصدر السابق، ص 164.

([2]) المصدر السابق، ص 184 وما بعدها.

([3]) المصدر السابق، ص 165.

كذلك يرجع ابن حزم هذه العفة والطهارة التي تحلت بها نفسه إلى نشأته بين الرقباء وإلى صحبته لشيخه الجليل "أبو علي الفاسي" الذي كان غاية في الصلاح والنسك والعفة، فنفعه الله به كثيراً حيث علمه موقع الإساءة وقبح المعصية وكان له قدوة حسنة صالحة اقتدى بها. وابن حزم لا يتحدث عن نفسه بغرض المدح والمباهاة، وإنما يؤكد صلاحه وعفته في تجارب شخصية مرت به وقد خرج منها سليماً طاهراً عفيفاً منتصراً على نفسه وأهوائها، والتي تعكس في مجملها طبيعة شخصيته الناشئة على الأخلاق الفاضلة الحميدة.

3) البعد المعرفي للحب: يؤكد ابن حزم أن الحب أمر حتمي وواحد عند جميع الناس لكون القلوب بيد مقلبها، إلا أن الإنسان مخير في أفعاله، وقادر على الاحتكام إلى عقله الذي هو زمام على شهوات جسده، مما يمكنه من الابتعاد عن مغريات النفس التي تقودها الشهوات الدنيوية. "فإذا غلب العقل النفس ، ارتدع الإنسان، وقمع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله، واتبع العدل، وإذا غلبت النفس العقل، عميت البصيرة، ولم يصح الفرق بين الحسن والقبيح، وعظم الالتباس، وتردى في هوة الردى ومهواة المهلكة"[1]. وعلى ذلك يتبين من النص، كما هو ملاحظ أن في مجال الحب العقل يعمل بطريقة تعتمد على الارتقاء بقوى النفس الشهوانية التي تميل إلى استحسان الشهوات وحب الانغماس في الملذات، مما تجعل الحب يرتدع عن الوقوع في الخطيئة، أو أن يرتكب أمراً مشيناً في حبه. ولكن لابد للعقل من سند يساعده في تجاوز الرذيلة، إذا ما وقعت

(1) ابن حزم: طوق الحمامة ، مصدر سابق، ص 161.

أسبابها، والتمسك بالفضيلة مع غلبة أسباب الحب ونوازعه، وهذا السند هو "طول الرياضة وصحة المعرفة، ونفاذ التمييز، ومع ذلك اجتناب التعرض للفتنة"[1]. لذا يرى ابن حزم أن من عرضت له الشهوة الشديدة، ولم يقع فيها، فذلك راجع لأمرين هما:

الأول: اتساع المعرفة ورسوخها، لكن هؤلاء لا يصمدون طويلاً إذا ما استمر الإغراء، إذ سرعان ما يستجيبون لداعي الغزل، فيسقطون في المعصية، إلا أن يعصمهم الله من الوقوع في ذلك، يقول ابن حزم: "إما طبع قد مال إلى غير هذا الشأن، واستحكمت معرفته بفضل سواه عليه، فهو لا يجيب دواعي الغزل من كلمة ولا كلمتين، ولا في يوم ولا يومين، ولو قال على هؤلاء المحبين ما امتحنوا به، لجادت طباعهم، وأجابوا هاتف الفتنة ولكن الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك نظراً لهم، وعلماً بما في ضمائرهم، من الاستعانة به، من القبائح واستدعاء الرشد"[2].

الثاني: بصيرة حضرت في ذلك الوقت فرأوا شر الخطيئة والرذيلة" فانقمعت به طوالع الشهوة في ذلك الحين، لخير أراد الله عز وجل لصاحبه"[3]. وهناك طبيعة ثانية في المقابل تدعو إلى الوصال وهي قوة قائدها الشهوة فتلبس على الإنسان فلا يرى العقل شيئاً، وتعمي البصيرة، ولا يعود المحب يفرق بين الصح والخطأ والحسن والقبيح، فيعظم عليه الالتباس، فيتجاوز في حبه كل الحدود، فيحدث من جراء ذلك "أن يهون القبيح،

([1]) المصدر السابق، ص 162.

([2]) ابن حزم: طوق الحمامة ، مصدر سابق، ص 186.

([3]) المصدر السابق، نفس الصفحة.

ويرق الدين، حتى يرضى الإنسان في جنب وصوله إلى مراده بالقبائح والفضائل"[1]. وبوصول المحب إلى هذه الدرجة لا يرجى منه صلاح.

من أجل هذا حرص ابن حزم على أن يجعل العقل مسيطراً على العواطف وضابطاً لها بهدف توجيه سلوك المحب إلى ترشيد تلك العواطف والمشاعر وتفريغها فيما يعود عليه بالعفة والحلال، وعدم الإفراط الذي ينشأ عنه العديد من الآفات، والأمراض التي تصيب الإنسان وتكدر عليه صفو حياته.

4) البعد الحسي للحب: لم يخلط العرب قديماً بني الحب والحس أو بين الحب والاشتهاء الحسي، بل ظل الحب عاطفة تقوم على الميل القلبي، المقرون بالإيثار، ميل يتنفس في اللقاء العف، والتأمل في حركة النفس والرغبة في توحد الشعور نحو الأشياء، وإيثار ما به يصير المحبوب أكثر سعادة وأنساً، وإن يكن المحب – بسبب ذلك – يعاني ضروباً من الحرمان والشقاء، فلم يكن الاشتهاء أو الرغبة الحسية جزءاً من مفهوم ا لحب، ولا عاملاً من عوامل بقائه، بل على العكس، لقد كانوا يعتقدون أن النكاح يفسد الحب ويقضي عليه [2].

رفض ابن حزم هذا المفهوم للحب، لأن الحب عنده وسيلة وغاية، فمن حيث أنه وسيلة، فهو وسيلة لأجل الزواج والاستقرار والسعادة، ومن حيث أنه غاية، يجب أن يكون

([1]) المصدر السابق، ص 170.

([2]) محمد حسن عبد الله: الحب في التراث العربي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1981) ص 93.

الحب نمطاً إنسانياً رفيعاً عفيفاً لا يتعدى فيه المحبون هذا النمط تحت كل الظروف حتى يصل إلى نتيجته الطبيعية وهي الزواج، وإلا تحولت هذه التجربة إلى نوع من الشقاء لتناقضها مع معتقدات المحب والمحبوب، كونهما يعيشان ضمن حدود مجتمع له تقاليده وعاداته، التي تمنع تعدي هذه الحدود.

وهنا تظهر نظرة ابن حزم الدينية، لأن الدين قد نظم العلاقات الإنسانية الاجتماعية، والحب أحد هذه العلاقات التي ينظمها، وتحكم بإطاره، وبالتالي لم يستطع ابن حزم إخراج الحب عن إطاره الديني والاجتماعي. فالنهاية الطبيعية لأي حب صادق هي الزواج وللزواج أهمية كبرى عند ابن حزم ، باعتباره قمة سعادة المحبين. ذلك أنه بمثابة انتقال المحب لمشاركة المحبوب في الجسد، بعد أن كانت مشاركة في الروح فقط. فالانتقال من المشاركة الوجدانية إلى المشاركة الجسدية بين العاشقين يوصل إلى الروح "نوعاً من الظمأ" كان يقلقها [1]. لذلك كانت "أقصى أطماع المحب، ممن يحب المخالطة بالأعضاء، إذا رجا ذلك"[2]. فمثل هذا وشبهه إذا وافق أخلاق النفس ولّد زيادة المحبة بين المحبين فيصلوا إلى حالة تكامل الحب وجدانياً وجسدياً، لذا يعترف ابن حزم بتأثير عامل الحب الجسدي على الحياة العاطفية، عندما يشير بدون استخدام كلمات تورية مبالغ فيها، إلى طريقة المعاشرة الجسدية لأحد أصدقائه [3]. حيث يقول: "إذ الأعضاء الحساسة

([1]) حامد الدباس: فلسفة الحب والأخلاق، مرجع سابق، ص 177.

([2]) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مصدر سابق، ص 167.

([3]) كروث ايرناندیت: تاريخ الفكر في العالم الإسلامي، مج 2، مصدر سابق، ص 110.

مسالك النفوس ومؤديات نحوها"[1]. فالاتصال الجسدي يعد عنصراً هاماً لاستطالة عمر الحب من خلال ما ينشأ عن الإشباع الغريزي من وفاق بين الزوجين. ويؤكد ابن حزم أن من رزق العشق الحقيقي لا يرتوي منه أبداً كلما نهل طلب المزيد، لأن القلب الصادق الحب ظامئ أبداً مستزيد، لذلك يرفض الرأي القائل إن النكاح أي الوصال يؤذي الحب ويقتله، بل إن الوصل يبقى على الحب، إذ يقول: "إن من الناس من يقول إن دوام الوصل يقتل الحب، وهذا هجين من القول، إنما ذلك لأهل الملل، بل كلما زاد وصلاً زاد اتصالاً"[2] ثم يحدثنا ابن حزم، بجرأة غير مسبوقة، عن تجربته في الوصل بمن يحب، ومعايشته وتذوقه لهذا الشعور تذوقاً واقعياً فيقول "وعني أخبرك أني ما رويت قط من ماء الوصل ولا زادني إلا ظمأ.. ولقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغايات التي لا يجد الإنسان وراءها مرمى، فما وجدتني إلا مستزيداً، ولقد طال بي ذلك فما أحسست بسأمه.. ولقد ضمني مجلس مع بعض من كنت أحب، فلم أجل خاطري في فن من فنون الوصل إلا وجدته مقصراً عن مرادي وغير شاف وجدي، ولا قاض أقل لبانة من لبناتي ، ووجدتني كلما ازددت دنوًّا ازددت ولعاً، وقدحت زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي..."[3]. فيصل الإنسان بالارتواء من الوصل إلى حالة الاتحاد والتكامل الروحي والجسدي. وبالرغم من أن الحب حالة نفسية، إلا أن باعثها معتمد في الأصل على الباعث الغريزي الحسي، فالاتصال الجسدي ليس شيئاً معيباً أو دنيئاً في نظر ابن حزم،

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق، ص 46.

(2) المصدر السابق، ص 92.

(3) ابن حزم: طوق الحمامة، مصدر سابق ، ص 92.

بل هو تعبير عن شعور صادق، لهذا يترك أثراً روحياً إيجابياً في الإنسان مع أنه تعبير جسدي في الظاهر.

وتتردد أصداء الفعل الجسدي، وحيل العشاق وأفانينهم في الحصول على ملاذهم، في أخبار عدة أوردها ابن حزم في ثنايا كتابه "الطوق" بجرأة واضحة، ولا يعنينا أن نتوقف عندها، غير أننا نخلص منها إلى أن ابن حزم يؤكد على أن الوصال الجسدي من أهم المسالك المؤدية إلى الرضا النفسي والمحبة بين الزوجين. إذن "فلا اعتراض على الحسيّة في طوق الحمامة إن أدت إلى تهذيب العاطفة"[1]. وبهذا استطاع ابن حزم أن يحدث نوعاً من التوازن بين حاجات الجسد وحاجات الروح.

الخاتمــة

مما تقدم نرى أن ابن حزم الأندلسي استطاع ببراعة نادرة أن يقدم لنا نظرة واقعية شمولية متكاملة عن الحب، مزج من خلالها الأسلوب الفلسفي العميق لصلات المحبين بالمحبوبين مع ما يكتنفها من علاقات متشابكة متداخلة... الخ بالأسلوب النفسي الدقيق لأسباب الحب وأعراضه وآفاته مستعينا بالواقع عندما اعتمد على التجربة المعاشة بفرعيها

(1) ماري تيريز: قراءة الأدب عبر الثقافات ، (القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1997م)، ص25.

الـذاتي والجمـاعي للاستشـهاد والتـدليل. فعكسـت الكثيـر مـن التجـارب الحيـة الواقعيـة، والنماذج البشرية المتنوعة، ومن خلال هذه النظرة الواقعية خلصنا إلى النتائج التالية:

1- اتسمت دراسة ابن حزم للحب بالجدية والواقعية حيث اشتملت على تعريف الحب، وبيـان عوارضـه، وأسـبابه، وأوصـافه، وأنواعـه ومظـاهره مبـرزاً صـورته الخيـرة الإيجابيـة، ومقابلهـا تلـك الصـورة المنفرة القبيحـة، فظهـر ابـن حـزم بمظهـر الخبيـر العـارف والمحلـل النفسي لنزعات وخلجات النفس البشرية وأسرارها.

2- إن حديث ابن حزم، الفقيه الظاهري المتحمس لمذهبه، لموضوع الحب يدل دلالة كبيرة على تحرر فكري وجرأة. فقد حاول اختراق عادات وتقاليد عصره، وقيود العرف المتبـع، والتزمـت الـديني المتشـدد، فـتكلم عـن بعـض ذكرياتـه فـي ميـدان الحـب واصـفاً حبـه الشخصـي، وبعضاً من التجارب التي مر بها هو وغيره، ويعتبر صنيعه هذا حدثاً غير عادي وطريقة مبتدعة لم يألفها الناس في ذلك الوقت، ولذلك عاب عليه الكثيرون كتابته في الحب.

3- اختار ابن حزم في دراسته للحب أن يكون إنساناً عادياً وفقهياً ورعاً في الوقت نفسه كـان إنسـاناً عادياً أثنـاء سرده لتجـارب المحبين وتجاربـه الخاصـة ذات مشـاعر وأحاسيس مرهفـة يـتفهم النـزوات والهفـوات، فيظهـر نوعـاً مـن المرونـة فـي الحكـم علـى تصـرفاتهم متغاضياً، في أحياناً كثيرة، عن إصدار أي حكم، مكتفياً بالسرد فقط، ثم لبس ثوب الفقيه والمصلح الديني الورع عندما خصص الفصلين الأخيرين من كتابه (قبح المعصية وفضل

التعفف) لتقديم مواعظ شتى، وجهها مباشرة إلى لمحبين، راسماً من خلالهما حدود التعامل مع الحبيب، ووجوب تسليط العقل وسيطرته على النفس الأمارة بالسوء ليصل بعدها إلى نتيجة مفادها أن الحب الحقيقي هو الحب الملتزم العفيف الذي يتقيد بمبادئ الدين، فيجسد الزواج نتيجة طبيعية له.

4- إن لمفهوم الحب عند ابن حزم أبعاداً مختلفة متنوعة تتعدى كونه سيرة ذاتية، أو مجرد استقراء الظواهر السلوكية لأحوال المحبين في المجتمع الأندلسي. وتهدف هذه الأبعاد في مجملها للحض على الفضيلة، والدعوة إلى العفة، وتذوق الإحساس بالجمال الروحي والحسي، وتقوية أواصر الحب، وإعطاء حاجات الجسد قدرها مع التزام العفة وحق الوفاء. وبهذه الأبعاد أصبغ ابن حزم على الحب صبغة إنسانية نبيلة، إذ لم يعد الحب عملية حسية يغلب عليها الطابع الشهواني الدنيء.

المراجع والمصادر

القران الكريم

أولا : المعاجم والموسوعات

1 . جميل صليبا : المعجم الفلسفي : ب ط (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982م)

2 . عبد المنعم حنفي : المعجم الفلسفي ، ط1 (مصر الدار الشرقية ، 1995م) .

ثانيا : المصادر

1. ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، تحقيق : الطاهر مكي ، ط2 (القاهرة ، دار المعارف ، 1995م) .

2 . ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف ، تحقيق : الطاهر أحمد مكي ، ط 6 (القاهرة ، دار المعارف ، 2001م) .

3 . ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : إحسان عباس ط 1 (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1980 م) .

4 . ابن القيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ط2 (بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1986م).

5 . إخوان الصفا وخلان الوفاء : رسالة في ما هيه العشق ضمن رسائل إخوان الصفا ، تصحيح خير الدين الزركلي ، (مصر الطبعة العربية ، 1928م) .

6 . أفلاطون : المأدبة ، ترجمة : وليم الميري ، (القاهرة ، دار المعارف ، 1965).

7 . الأمام مسلم بن الحجاج القشيري : الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، دار إحياء التراث ، العربي ، د . ت) .

8 . أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، (القاهرة ، مكتبة الشعب ، 1969م) .

9 . أبي بكر محمد بن داؤود الاصفهاني : كتاب الزهرة ، تعليق : خالد محي الدين البرادى (دمشق ، منشورات وزارة الثقافة : 1992م) .

ثالثا : المراجع

1 . أحمد فؤاد الأهواني : الحب والكراهية ، (القاهرة ، دار المعارف ، د.ت) .

2 . الطاهر أحمد مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابة طوق الحمامة ، ط4 (القاهرة ، دار المعارف ، 1993م) .

3 . المهدي أحمد جحيدر : القيم الأخلاقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي ، ط1 (طرابلس ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 2010 م) .

4 . سهير فضل أبو وافية : الفلسفة الإنسانية في الإسلام (القاهرة ، المكتب المصري للخدمات العلمية 1995م) .

5 . حامد أحمد الدباس : فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم الأندلسي ، (لندن ، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، 1993 م).

6 . محمد حسن عبد الله : الحب في التراث العربي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1981م).

7 . فهمي عودة : نظرية التراث " داعي المشاكلة في نظرية الحب عند العرب ، ط1 (عمان، دار الشروق ، 1985)م.

8 . زكريا إبراهيم : مشكلة الحب ، ط2 (القاهرة ، دار مصر للطباعة ، د.ت) .

9 . صادق جلال العظم: في الحب والحب العذري ، ط3 (بيروت ، دار العودة ، 1981م). 10 . كروت ايرناندیت : تاريخ الفكر في العالم الإسلامي : ترجمة عبد العال صالح ، تعليق عبد الحميد مدكور ، ط1 (القاهرة ، المركز الوطني للترجمة ،2013 م).

11 . ماري تيرز: قراءة الأدب عبر الثقافات (القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 1997م)

رابعا : الدوريات والمقالات

1 . إحسان عباس : دراسة الحب عند ابن حزم ، مجلة شؤون عربية ، تونس ، العدد (3) مايو . 1981م .

2 . أحمد خالد : ما هيه الحب حسب ابن حزم ، مجلة الفكر تونس، العدد (9) ، جواز 1963 م

3 . سالم يغوت : الأسس الميتافيزيقية لنظرية الحب لدى ابن حزم ، مجلة تكامل المعرفة ، مجلة جمعية الفلسفة بالمغرب ، عدد مزدوج (8.7) ، 1982 م .

4 . يوسف الشاروني : طوق الحمامة لابن حزم ، مجلة العربي ، العدد (13) ، ديسمبر 1959م

خامسا : رسائل الماجستير والدكتوراه

1 . حورية خليفة ميلود : الحب بين ابن حزم وابن فارض ، جامعة القاهرة . كلية الآداب قسم الفلسفة ، 2012 م .